الفصل الثالث
نقض نظريات التّطور والارتقاء الذّاتي

بعد كلِّ ما تقدم: لا أظنُّ أنى بحاجة إلى الإستطراد فى أدلّة وبراهين نقض نظرية داروين، او نظريات التطور المادى ألأخرى - سواء من اعتمد الأصطفاء الطبيعى أو من اعتمد الصدفة العشوائية- فهما قد أثبتتا فشلهما، إذ أنهما مع تبجح المنادين بهما أنهم لا يؤمنون إلا بالعلم والمختبر والوقائع العلمية، لأبعد الناس عن العلم أو الدليل العقلي. لأنهما قد ظهرتا وقامتا بعد أن وضع أصحابها الفروض المسبقة مع البحث عن وقائع فردية، وإعطائها صفة العموم للوصول إلى الحقائق الأساسية المرجوة التى قامت عليها قوانين بقاء الإنسان.

لقد وصلت دراسات العلوم إلى كل مجال واتجاه وتغلغلت فى كل اتجاه، ولكنها وقفت عاجزة أمام الإنسان لم تفهمه، فقد عجز الإنسان الناقص العاجز أن يفهم نفسه، وحاول أن يفهم أسرار الحياة، كما حاول فهم العلوم وأسرار الكون، ثم عاد ليفتح باباً جديداً من العلوم الظنية أسماه "علم الإنسان"، تماماً كما فتح علوم الحيوان والنبات والكيمياء والفيزياء.....، متعاملاً مع الإنسان المادة كما يتعامل مع غيره من المواد العادية، فأجرى دراسات حول الأجناس البشرية والسلالات والطبائع والتركيب العضوي، وهو فى كل يتلمس طريقاً عسيراً، أعلى بكثير عن مستوى إدراكه، ونهجاً شاقاً، إذ أنهم لم يواجهوا الإنسان مواجهة صريحة نيرة ليصلوا من خلالها إلى النتيجة الحتميّة النهائيّة: وهى أنّ الإنسان الموجود هو عاجز وناقص ومحدود، وما دام كذلك فهو محتاج ولا بدَّ إلى قوّة أعظم منه، أى أنه محتاج إلى مُبْدِعٌ ومُصَوِر، بحاجة إلى خالق يوجده من عدم.

نعـــم، لقد تناسوا الإنسان الموجود، نسوا أنفسهم ونسوا أن يتفكروا ويُعْملوا العقل فى التفكير فى أنفسهم هم، تركوه، تركوا أنفسهم، تركـوا الإنســان الحاضــر ليلتمســوه مــن خــلال الأحــافير المتحجــرة، والمجتمعات البدائية الدّارسة والمطمورة، ولإطلاق الخيال والدّوران فى الحلقات المفرغة التى تنتهى من حيث تبدأ، فلا توصل إلى هدف أو مبتغى.

يـذهب هـؤلاء النـاس - مـن يسـمى مـنهم بالبـاحثين أو العلمـاء أو حملـة ألقـاب رفيعـة أعلـى شأناً- للبحـث عن الإنسـان الموجـود، يبحثـون عنـه بين الكهـوف والمغـاور، وبجانـب شـواطئ الأنهـار والبحيـرات وعلـى صـفحات الصخور... يلتمسون من خلال علماء الأحافير آثاره وأدواته، ليعطوه حقباً تاريحية يطوروا الإنسان معها لأنه مربوط بها ربطاً مُلزِماً، فهو فى زعمهم يتطور تبعاً لوسائل الإنتاج إلتى يستعملها وقد صنعها بيديه!! وتفرض عليه تلـك الآلات الصـماء التـى لا تعقل ولا تعـي، نـوع تفكيـره وأسـلوب عيشـه وتعـيّن لــه ثقافتــه وحضــارته وأيدلوجياتــه، ويحــاولون مــن خــلال تلــك الملاحظـات التـى تتجمـع لهـم، أن يرصـدوا الإنسـان ليصـلوا إلـى فُـروض ونظريات يقيمون بها مكتشفـات تصل إلى كُنــه الإنسان، وليطـوروه حسب مـا افترضـوا مـن النظريـات قبل بـدئهم فـى البحـث والتّحـرى والاستقصـاء، وليعطوه الآباء والأجداد والأعمام ممن هم أدنـى مرتبـة، كل ذلك والإنسـان المبحـوث عنـه قـائم حـي، متحـرك شـامخ، جميلٌ فـى أجمـل الصـور، عاقل مفكّر، مُدرك فنّان، عالم فيلسوف، شـاعر كاتـب، عـالم متعلم، لـم يتبـدل ولـم يتغير منذ وُجِد إلى الآن.

وللحقيقـة أنّ أسـاليب ووسـائل علمـاء المـادة وعلمـاء الأنتربولوجيـا لـن تستطيع أن تصل إلى شـيء، إلا ما هو مقررٌ أساساً فـى عقول باحثيهـا، وإلا إلى ما افترضوه مسبقاً قبل البدء فى أبحاثهم، وهو ما ذهبوا للحصـول علـى أدلتـه فـى تلـك المغـاور والكهـوف، جَرْيـاً وراء صـورة الإنسـان البدائى منذ

آلاف السنين، ومن أجل تعزيز افتراضاتهم أنّ الإنسان من سلالة القرود والسعادين التى أنجبتها الزواحف ابنة البرمائيات المتصل نسبها بثنائية الخليّة وجدها الأعظم الذى هو أدناها مرتبة كان وحيداً للخلية!!! (1)

وإنى لأعجب! ويعجب معى كل عاقل، لقوم أغلف الله قلوبهم وأعمى بصائرهم، إذ يؤكدون تأكيد الواثق المطمئن، فى شجرة الأحياء التى ابتدعوها أنّ أصل الإنسان قد تدرج فى مراحل تطورية، أولها الجبلّة وحيدة الخليّة، وآخرها قبل الإنسان الصعابير، يؤكدون ذلك تأكيد الواثق المطمئن المتمكن مما يقول، وفى تسلسل عجيب منتظم ومرتب... إلا أنهم لا يستطيعون التأكد من أى نوع من الصعابير على وجه التحديد تنشأ الإنسان حتماً! وهل أتى من القرد أم من السعدان؟ أنى لأرثى لِحال هؤلاء الذين يرسمون أنفسهم كجهابذة العِلم وأعلام البحث ورواد الاستكشاف... يعرفون أجدادهم من الزّمن الغابر الموغل فى القِدَم فى إحدى عشر حقبة من الزّمن، مؤكدين ذلك بإصرار، فى حين أنَّ أمانة البحث!!! والحرص على الدّقة والحقيقة والصدق يحتمان، لا بل يفرضان عليهم ألا يؤكدوا من هو جدّهم الأخير: القرد أم السعدان!!!.

إنّ كل نظريات التطور والنشوء تلك إنما استهدفت إحياء التراث الوثنى كله، لإعادة صياغته من جديد، لأجلِ أن تَصِلَ إلى إبراز مفاهيم ومعتقدات المحافل والجمعيات والمنظمات السرية، والتى تدفعها أيادٍ خفيةٍ، استوعبت تُراثَ أشور وبابل واليونان والرومان والبراهمة، إنّ كل تلك المحاولات تستهدف تضليل الإنسان عن حقيقته ودفعه إلى الطريق الذى ينتهى به إلى

---

(1) الفقرات الخمس السابقة، منقولة بتصرف عن: كتاب أنور الجندي: مفاهيم العلوم الاجتماعية.

الإنحلال والتحطم.... [1] فَهُم يَرَوْنَ أنّ الطريق الأمثل للاستيلاء على الرأى العام فى العالَم للتحكم فى بعقول الشعوب ومصائرها، تنحصر فى العمل على اقلاقه وتشويشه بطوفان الأفكار والأراء من كل جانب، بحيث ينتهى ألأمر بضياع البشر، ووقوعهم فى خِضَمِ الضّلال وحبائل الشيطان. [2]

لقد مضى منذ زمن، الوقت الذى كان الكافر المستعمر يعتمد فيه حَصْراً على الأساطيل والجيوش لإخضاع الشعوب واستنزاف مواردها، وإذلال وإفقار أهلها، وظهر مكانه الاستعمار الحديث الأكثر لؤماً وخُبثاً وتأثيراً، والذى يعمد إلى غزو البلاد واستعبادها ثقافياً وفكرياً واقتصادياً قبل أو بدون الاحتلال العسكري. والكافر المستعمر حين استعمر العالم الإسلامى أرسل طلائعه من أمكر وأخبث وألد الأعداء من المبشرين والمستشرقين وحملة الصلبان، علاوة على الطابور الخامس المضبوع بثقافته والمفتون بحضارته من أبناء البلاد، ليمهدوا الطريق لهذا الغزو بتضليل المسلمين وإعمائهم عن دينهم، وصرفهم عن جوهره، وإبعادهم عن حُسْنِ الاعتقاد بزعزعة ايمانهم، فكان كل هؤلاء الطلائع والكتائب الأولى التى مهدت الطريق للإستعمار الكامل.

وقد كشف الباحثون أنّ الداروينية قد اسْتُغِلَت فى محيط السياسة، مما أدى إلى خلق جو مضطرب أطلت منه مذاهب العبقريّة، فقد كان قول داروين بأن العناصر الضعيفة يجب أن تموت أو تُسْتأصلَ، ليحل محلها الأقوى والأقدر على البقاء، تبعاً لقاعدة البقاء للأصلح، قد استغلته حركة

---

(1) المصدر السابق.

(2) عبد الله التل، جذور البلاء، صفحة (265)، بتصرف. وللاستزادة يمكن الرجوع إلى الصفحات (265 - 270) من الكتاب المذكور.

الاستعمار العالمى كنظرية لتطبيقها على البلاد المحتلة. (1)

وأقرب مثال على ذلك: حرب الإذلال والإبادة التى دارت رحاها على شعوب أفريقيا الجنوبية من قبل حفنة من علوج الغرب الكافر المستعمر وحرب القهر الإبادة والإذلال بما فى ذلك هدم البيوت على رؤوس ساكنيها بأحدث الأعتدة وأفتكها، واستعمال أحدث وأضخم الالات الجهنمية بما فى ذلك الصواريخ والطائرات، رافق ذلك الحقد والغل اليهودى المشهور على مدى التاريخ الأشد عداوة للذين آمنوا(2)، لقتل وتصفية شعب فلسطين المسلم من قبل أعدائهم وأعداء الله من يهود، معللين ذلك بالقضاء على الإرهاب، منفذين ما اعتقدوه من مذهب بقاء الأصلح والصراع الشرير لتنفيذه. وآخر ما شاهدناه من مجازرهم تلك الهجمة البربرية التى قادها جيش يهود ضد المسلمين فى فلسطين، تلك المجزرة التى نفذها يهود ابتداء من أوائل شهر نيسان الأسود لسنة *2002*م. بمباركة وتوجيه من امبراطورية الكاوبوى الصليبية "الولايات المتحدة الأمريكية" وهيئة الأمم المتحدة وكل حملة الصليب من انجليز وغيرهم، وتخاذل مذل مخجل من أشباه الرجال من حكام المسلمين، (3) حيث تم ذبح وقتل الرجال وحرق والنساء والأطفال بوحشية بالغة فى مخيم جنين المنكوب وفى أزقة وحوارى نابلس وفى

---

(1) أنور الجندي، سقوط نظرية داروين، صفحة (10)، بتصرف.

(2) لقد أثبتت أحداث نيسان الأسود كذب ادعاءات السفهاء من قادتنا القائلة بالفرق بين فرق اليهود، ومراهنتهم الخاسرة على معسكرات السلام اليهودية، فقد تسابق قادة اليسار بكل أحزابهم وتكتلاتهم على ذبح وإذلال أهل فلسطين، والتباهى فى ذلك مثلهم مثل قادة اليمين، فى تحالف شامل لكل اليهود بأحلافهم مصداقا لقوله تعالى:{ولتجن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا} (المائدة 82).

(3) لقد أثبتت أحداث نيسان الأسود افتقار كافة حكام المسلمين للرجولة والنخوة والشهامة، علاوة على تخليهم عن عقيدتهم ودينهم، كما أثبتت أن كرامة المسلمين لا يمكن أن تتحقق إلا فى ظل حاكم واحد مؤمن مخلص ألا وهو خليفة المسلمين، الذى يصون كرامتهم ويحمى أنفسهم وأموالهم ويرهب أعداءهم ويقود جيوشهم للقضاء على أعداء الأمة، وأولهم امبراطوريات الشر بريطانيا والولايات المتحدة.

عمارات وشوارع رام الله وبيت لحم وفى كل مدن فلسطين، فى حرب إبادة استهدفت الأرواح والأموال والبيوت، حيث تم تنفيذ القتل والإعدام والذبح والإبادة وجرف الأراضى و إتلاف المزروعات ونهب الأموال وانتهاك الأعراض. علاوة على التمثيل المريع بالجثث الطاهرة، وتركها فى العراء ومنع دفنها لتركها تنوشها الكلاب والوحوش، والتقصد فى إتلاف المساكن والأشجار والمزروعات والوثائق والمستندات والكتب خاصة نسخ القرآن الكريم وكل ما يستطيعون إتلافه لإشفاء غلهم وحقدهم.

وسبق ذلك حرب الإبادة والقهر والإذلال التى قادها رأسى الكفر أمريكا وبريطانيا على شعب العراق المسلم مستغلين بذلك كل محافل ودوائر العالم من هيئة أمم وشرعية دولية وغيرها من الشعارات الزائفة، ذلك البرقع الشفاف الذى يخفى الوجه البشع لهؤلاء الكفرة ورغبتهم فى قهر وإبادة المسلمين، واستنزاف مواردهم ونهب خيراتهم.

وأخيراً استغلال رأس الكفر الولايات المتحدة الأمريكية، وأتباعهم الأذلاء من رؤوس الحقد والغل، أحقد وأبشع وألئم وأنذل البشر على الإطلاق "الانجليز" وغيرهم من دول وشعوب العالم وبخاصة حملة الصلبان منهم، استغلالهم حدث يوم الثلاثاء المشهود *2001/9/11* الذى هزّ امبراطورية الشّر أمريكا وأظهر عجزها وضعفها وعورارها وذلها، وكشف عن حقيقة زيف الغطرسة والجبروت والتميز الذى يدعونه، ومع أنَّ كل الدلائل تشير إلى أن الفاعل الحقيقى أو الفاعلين هو كافر أثيم من جنسهم المنحط، إلا أنهم جرو جيوشهم وعتادهم الجهنمي، وعقدوا أحلافهم، فى حرب صليبية أثمة جديده، لقتل وإبادة وإذلال وقهر المسلمين وإسلامهم فى أفغانستان البلد الفقير المسلم كخطوة أولى فى طريق إبادة المسلمين والقضاء على إسلامهم، حيث كَشَر كل الكفار الصليبيون عن أنيابهم، وأظهروا مكنون الحقد فى نفوسهم، ليثبتوا بجلاء ووضوح عن عقيدتهم

المتمثلة بالرغبة الجامحة فى القتل والإذلال، لاستنزاف موارد الأمم والشعوب، ونهب خيراتهم، فقاعدة الصراع من أجل البقاء والبقاء للأصلح هى دينهم وقائدهم وموجههم، رغم تبجحهم بالرقى والحضارة والمبادئ وحقوق الإنسان والتسامح، تلك الشعارات البراقة التى أثبتت حوادث الأيام زيفها، وبالتالى فإن الديمقراطية التى ألبسوها ثوب العدل والمساواة والقانون، هى فى حقيقتها شر وحقد واستعمار وبلاء ووباء فتاك وجرثومة شرٍ ابتلى بها الإنسان.

وقد استغلت نظرية التولد الذاتى - التى نادى بها داروين ولامارك وأرنست هيكل - منطلقاً إلى الإلحاد، وجعلها البعض سنداً فى إنكار العقيدة الدينية، فاتخذت منها فلسفة لإنكار وجود الخالق، وإعطاء المادة صفة القادر المسيطر على كل شىء، ومن ثمّ دعى هيكل إلى تأليه الطبيعة، وإنكار وجود الله تعالى، ونادى بوحدة الوجود. (1) وظهرت من خلال ذلك نظرية القوّة والتمييز العنصري، والشعوب المختارة، كما صيغت نظرية القوة عند نيتشه ومن ذهب مذهبه من علماء الجرمان، وبها انتفع دعاة الأرستقراطية، فوجدوا فيها سلاحهم، إذ أعلنوا أنفسهم بأنهم الممتازون والمختارون الذين ورثوا مزايا الأجداد سادة البشر ومالكى العروش

---

(1) وحدة الوجود، *pantheism*: هى القول بأن الله والطبيعة شيء واحد، وبأنّ الكون المادى والإنسان ليسا غيرَ مظاهرَ للذات الإلهية. ووحدة الوجود تنطوى على إنكار لوجود الله. وقد قالت بها بعض الديانات والفلسفات منذ القدم. فنحن نقع عليها فى المعتقدات المصرية والصينية والهندية. وفى الفلسفة اليونانية أخذ الرواقيّون بهذا الرأى مؤكدين أنّ الله والعالم شيء واحد، وقال به فلاسفة الأفلاطونية المحدثة. وكذلك فعل بعض الفلاسفة النصارى. وبين المسلمين نجد "وحدة الوجود" واضحاً عند محى الدين بن عربى وعند الحلاج - وكلاهما من رؤوس الصوفية -. أما فى العصر الحديث فكان سبينوزا أكبر القائلين بوحدة الوجود والمدافعين عنها، وكذلك هيكل. - منقول بتصرف عن: منير البعلبكي، موسوعة المورد العربية، المجلد الثاني، صفحة (1298).

وصانعى التاريخ. [1]

لقد دخل مذهب داروين إلى العالَم الإسلامى عن طريق الترجمات، وبواسطة مجلة "المقتطف" والدكتور شبلى شميل الذى ترجم "شرح بخنر على مذهب داروين" وتابع ذلك إسماعيل مظهر وسلامه موسى "القبطى الصليبي" ومحمد يوسف حسن، وغيرهم من عملاء الفكر الغربى الكافر.

إنّ نظرية داروين الواردة فى كتابيه "أصل الأنواع" و "نشوء الإنسان"، وفى الكتب والمجلات والموسوعات التى كتبها ونشرها تطوريون آخرون، تفتقر إلى أكثر من دليل لإثباتها، وقد برهن العلم بعد داروين، كما برهن العقل، فساد تلك النظرية وبطلانها. ومن الاف العلماء المختصين نستعرض على سبيل المثال ما جاء فى مقالة "النتيجة الحتمية" للدكتور "جون كليفلاند كوثران" المنشورة فى كتاب "الله يتجلى فى عصر العلم":

(فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أنّ المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة؟ أو أنها هى التى أوجدت هذا النظام وتلك القوانين ثم فرضته على نفسها؟ لا شك أنّ الجواب سيكون سلبياً. بل إنّ المادة عندما تتحول إلى طاقة أو تتحول الطاقة إلى مادة فإنّ كل ذلك يتم طبقاً لقوانين معينة، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التى تخضع لها المادة المعروفة التى وجدت قبلها.

وتدلنا الكيمياء على أنّ بعض المواد فى سبيل الزوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فإنّ المادة ليست أبدية، ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية، إذ أنّ لها بداية، وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أنّ بداية المادة لم تكن

---

(1) أنور الجندي، سقوط نظرية داروين، الصفحات (10 - 11).

بطيئة أو تدريجية، بل وجدت بصورة فجائية، وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذى نشأت فيه هذه المواد، وعلى ذلك فإنّ هذا العالم المادى لا بد أن يكون مخلوقاً، وهو منذ أن خُلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بيتها مكان.

فإذا كان هذا العالم المادى عاجزاً عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التى يخضع لها، فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي، وتدل الشواهد جميعاً على أنّ هذا الخالق لا بد أم يكون متصفاً بالعقل والحكمة، إلا أنّ العقل لا يستطيع أن يعمل فى العالم المادى كما فى ممارسة الطب والعلاج السيكولوجى دون أن يكون هناك إرادة، ولا بد لمن يتصف بالإرادة أن يكون موجوداً وجوداً ذاتياً. وعلى ذلك فإنّ النتيجة المنطقية الحتمية التى يفرضها علينا العقل ليست مقصورة على أنّ لهذا الكون خالقاً فحسب، بل لا بد أن يكون هذا الخالق حكيماً عليمً قادراً على كل شىء حتى يستطيع أن يخلق هذا الكون وينظمه ويدبره، ولا بد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود تتجلى آياته فى كل مكان)[1]

أما أخصائى علم الحيوان والحشرات، المتخصص فى دراسة أجنة الحشرات، الدكتور "إدوارد لوثر كيسل" فيقول فى نفس الكتاب:

(واليوم لا بُدَّ لمن يؤمنون بنتائج العلوم أن يؤمنوا بفكرة[2] الخلق أيضاً، وهى فكرة تستشرق على سنن الطبيعة، لأنّ هذه السُّنن إنما هى ثمرة الخلق، ولا بُدّ لهم أن يسلموا بفكرة الخَألق الذى وضع قوانين هذا الكون، لأنّ هذه القوانين ذاتها مخلوقة، وليس من المعقول أن يكون هنالك خلق

---

(1) كتاب " الله يتجلى فى عصر العلم " الصفحات (24 - 25).
(2) هكذا وردت فى المصدر فى حين أنّ الأصح أن يقال " حقيقة " وليس فكرة.

دون خالق: هو الله.

ولو أنّ جميع المشتغلين بالعلوم نظروا إلى ما تعطيهم العلوم من أدلة على وجود الخالق بنفس روح الأمانة والبُعْد عن التحيز الذى ينظرون به إلى نتائج بحوثهم، ولو أنهم حرروا عقولهم من سلطان التأثّر بعواطفهم وانفعالاتهم، فإنهم سوف يسلمون دون شك بوجود الله، وهذا هو الحل الوحيد الذى يفسّر الحقائق. فدراسة العلوم بعقل مُتَفَتِح سوف تقودنا بدون شك إلى ادراك وجود السبب الأول الذى هو الله[1]... وأعود فأقول إنّ دراسة العلوم بعقل متفتح تجعل الإنسان يسلم بضرورة وجود الله والايمان به)[2]

وفى استعراض لنظريات التطور وآثارها، يقول: "الدكتور محمد عزت نصر الله" فى كتابه "الرّد على صادق العظم": (نظرية التطور هى فى الأصل فكرة قديمة، راودت أفكار الإغريق قبل الميلاد بحوالى خمسة قرون، وهى لا تخرج عن كونها محاولة فاشلة تهدف لإرجاع الأحياء - بما فيها الإنسان - إلى أصل واحد مشترك، وفى أوائل القرن التاسع عشر تناول لامارك هذه الفكرة وأدخل عليها بعض التعديلات، ولكنه فشل فى إخراج هذه الفكرة فى إطار علمى مقبول، فلم تُسعفه الشواهد ولا الأدلة، ثم جاء داروين بعد لامارك، فى أواسط القرن التاسع عشر، واهتم بهذه الفكرة وأدخل عليها تعديلات جديدة، وكان يقوم بهذا العمل بتشجيع خفى من حركات ومحافل سرّية مشبوهة، فلما استحسنت تلك الحركات ما توصل إليه لإغراق العالم فى المادية تنفيذاً لبعض حيثيات مخططاتهم المشبوهة الرّامية للسيطرة على العالم، قادت حملة دعائية للترويج للفكرة[3]، حتى

---

(1) (إنما يخشى الله من عباده العلماء) - قرآن كريم -. " سورة فاطر - آية 28.

(2) ا

(3) للاستزادة يمكن الرجوع إلى: التل، عبد الله - جذور البلاء، الصفحات (265 - 270)

ظنّ الناس أنّ داروين هو واضع نظريّة النشوء والارتقاء)[1]

(ورغم الشّهرة والذيوع، بل ورغم الملاحظات والإصلاحات العديدة التى أُدخِلَت عليها من قبل أنصار داروين بعد وفاته، فقد يقيت الفكرة - وما تزال - فى حاجة إلى التأييد العلمي[2] الخاضع للمشاهدة والعيان، لأنها تعتمد فى كثير من نواحيها على الحدس والتخمين، لقصور ألأدلة العلمية القاطعة عن اثباتها أحياناً، أو لأنها لا تخضع للتجربة المعملية ولا تقع تحت الحس. وعليه فتعود النظرية أقرب إلى التلفيقات الوهمية الخيالية منها إلى الأبحاث العلمية التجريبية. ولا يفوتنا أنّ الفكرة فى جميع أدوارها المذكورة لم تحظَ بالصحة المطلقة فى شئ من الأوساط العلمية، وإنما كان أنصارها ينظرون إليها بإعتبارها نظرية مقبولة نسبياً... وإذا قصر باع العالم الحاضر عن مساندتها فى جميع خطوطها ومعالمها، فسوف يمتد اليها فى المستقبل محاولاً مدّها بالبراهين على ضوء ما يتجدد من كشوف، اما معارضوها وناقدوها، وفيهم الكثير من أبطال العلم والتاريخ، فمن بينهم من كان يعتبرها ثرثرة وهراء بُحَت بها حنجرة غبى جاهل)[3]

إنّ أساس نظرية التطور الحديثة كما رسمها لامارك قبل داروين، قد اعتمدت علىأساس تأثير الوراثة فى نقل الصفات المكتسبة إلى النّسل، الا أنّ هذا الأساس قد فقد قيمته العلمية تماماً، لا بل قضى عليها من الأساس التجارب التى أجاراها "غريغور مندل" على نبات البازيلاء، فبرهنت تلك

---

(1) قال كثير من العلماء أن فكرة التطور العضوى أنهم لا يؤمنون بتلك النظرية، إلا لأنه لا يوجد بديل لها سوى الأيمان بالله مباشرة!! فقد كتب " سير آرثر كيت " فى كتاب دورى اسمه " *Islamic thought* " العدد 61/12 ما يلي: (ان نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان، ونحن لا نؤمن بها إلا لأنّ الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا ما لا يمكن حتى التفسير فيه!!!

(2) المصدر السابق، صفحة (50).

(3) ا

التجارب بكل تأكيد وبلا شك على عدم تأثير الوراثة فى الصفات المكتسبة، ولما فقد هذا الأساس رصيده العلمى انهارت النظرية المرتكزه عليه وسقطت من الإعتبار، **لـــذا** فإنّ الكثير من مشاهير العلماء من يعتبرها مجرد هرطقة ووهم وثرثرة وخيال وفارغ من القول لا تنتسب إلى العلم أوالحقيقة بسبب.

وحتى مؤيدو النظرية ودعاتها لم يستطيعوا الدفاع عنها، أو ايجاد التبريرات العلمية أو العقلية لإثبات صحتها، ولا حتى الوقائع التاريخية الثابتة، ومن حاول منهم ذلك فقد اعتمد فى محاولته على تزوير متعمد للحقائق والتلاعب بها لخداع الناس، كما مرّ فى فصل سابق، وهاهو "البرفيسور أ. ي. ماندير" ينفى أن تكون للنظرية ركيزة علمية ثابتة، بل أنّ كل ما يستطيع أن يبررلها وجودها أنها أتت بطريق الاستنباط، **حيث يقول**: (إنّ الحقائق التى نتعرفها مباشرة تسمى "الحقائق المحسوسة *Percieved Facts*"، بيد أنّ الحقائق التى توصلنا إلى معرفتها لا تنحصر فى "الحقائق المحسوسة"، فهنا حقائق أخرى كثيره لم نتعرف عليها مباشرة، ولكننا عثرنا عليها على كل حال، ووسيلتنا فى هذه السبيل هى الإستنباط، فهذا النوع من الحقائق هو ما نسميه "الحقائق المستنبطة *Inferred Facts*" والأهم هنا أن نفهم أنه لا فرق بين الحقيقتين، وانما الفرق هو فى التسمية، من حيث تعرفنا على الأولى مباشرة، وعلى

الثانية بالواسطة، والحقيقة دائماً هى الحقيقة، سواء عرفناها بالملاحظة أو بالإستنباط)[1] ويضيف ماندير قائلاً:

(إنّ حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل، فكيف يمكن أن

---

(1) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، صفحة (47). نقلاً عن: *E. A. Mander, Clearer Thinking, London, p. 46.*

نعرف شيئاً عن الكثير الآخر؟.. هناك وسيلة وهى الاستباط أو التعليل، وكلاهما طريق فكري، نبتدئ به بوساطة حقائق معلومة، حتى ننتهى بنظرية: أنّ الشيء الفلانى يوجد هنا ولم نشاهده مطلقاً)[1]

وربّ سائل يسأل: كيف يصح الاستنباط المنطقى على حقيقة وجود أشياء لم نشاهدها مطلقاً؟ وكيف يمكن أن نسمى مثل هذا الاستنباط حقائق علمية، وكل دعاة التطور المادى لا يعتبرون من حقائق العلم ما لم يُشاهد ويُحس ويُلمس؟ وكيف نجذم بحقيقة وجود ما لم نَرَهُ لا نحن ولا من قبلنا، إنما عللناه بظواهر معينة لا ترقى حتى إلى شبهة الدليل؟ ويجيب ماندير على ذلك قائلاً: إنّ المنهج التعليلى صحيح لأنّ الكون نفسه عقلي. [2]

فإذا كان مقصد ماندير بقوله أنّ الكون نفسه عقلي، إذا كان مقصده من ذلك أنّ إثبات مصدر وجوده يجب أن يعتمد على العقل، فهذا قول صحيح، وهو ينقض نظرية التطور وينسفها نسفاً، لأنّ إعمال العقل فى الكون بموجوداته يعنى نبذ أساس النظرية المعتمد على إنكار كل ما لايقع عليه الحس المباشر، وإنكار كل ما لا يخضع للتجارب المخبرية، ويعنى أيضاً البحث عن طريق العقل والتفكر بالموجودات والسنن، وهذا ما يؤدى إلى نقض نظريات التطور والايمان القطعى بوجود خالق لهذا الكون وهو الله تعالى، وهذا ما سنتناوله فى بحثنا لاحقاً فى باب "الإسلام وخلق الإنسان"[3] إن شاء الله.

أما نظرية "هكسلي" وقروده التى ستكتب صدفة أشعار شكسبير - وشر البلية ما يُضحك - فإنّ مثل تلك الادعاءات لا تدل إلا على رعونة من ادعاها، إذ هى على قدر كبير من البلاهة والتغابي، بحيث لا تحتاج إلى

---

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) الباب الثالث، الفصل الأول من هذا الكتاب.

الرد أو النقض، وكثير من دعاة التطور وعلمائه قد أعربوا عن اشمئزازهم واستنكارهم لمثل تلك الهرطقات، وفى تعليق على قول هكسلى هذا، وعلى نظرية التطور العضوى يَرد "البروفيسور رايدوين كونكلين":

(إنّ القول بأنّ الحياة وجدت نتيجة "حادث اتفاقي" شبيه فى مغزاه بأن تتوقع إعداد معجم ضخم، نتيجة انفجار صدفى فى مطبعة)[1]

إنّ طبيعة من يدعى العلم والمعرفة والحكمة أن يكون متزناً، وذلك ما لا ينطبق على "مستر هيكل" وغيره من أدعياء العلم والمعرفة من دعاة التطور، وأبلغ دليل على ذلك ادعاؤه القدرة على الخلق، فلو سلمنا جدلاً - مع اقتناعنا التام استحالة ذلك استحالة مطلقة - بقدرته على خلق الإنسان المادة، فماذا عن سر الحياة "الروح"؟ وماذا عن العقل المميز؟. ويرد على ادعاء هيكل القدرة على الخلق، الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك "أ. كريسى موريسون *A. Cressy Morrison*" قائلاً:

(إنّ هيكل يتجاهل فى دعواه الجينات الوراثية *Genes*"، **ومسألة الحياة نفسها، فإنّ أول شىء سيحتاج إليه عند خلق الإنسان، هو الذرات التى لا سبيل إلى مشاهدتها، ثم سيخلق الجينات أى حملة الاستعدادات الوراثية، بعد ذلك ترتيب هذه الذرات حتى يعطيها ثوب الحياة... ولكن امكان الخلق لا يعدو واحداً على عدة بلايين، ولو افترضنا أن هيكل نجح فى محاولته فانه لن يسميها** صُدفة، **بل سوف يقررها ويعدها نتيجة لعبقريته)**[2]

(*1*) الإسلام يتحدى، صفحة (72)، نقلاً عن: *The Evidence of God, p. 174*.، والرد هو على تصريح المذكور الوارد فى أول الفصل الثالث عشر من الباب الأول فى هذا الكتاب.

(*2*) المصدر السابق، صفحة (78)، نقلاً عن: *Man Does not Stand Alone, p. 87*.

أما عالم الطبيعة "جورج ايرل ديفيس" فيرد على تلك المقولة قائلاً:

(لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه، فإنّ معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفى هذه الحالة سنضطر إلى أن نؤمن بأنّ الكون هو الإله... ولكن إلهنا هذا سيكون يكون عجيباً: إلهاً غيبياً ومادياً فى آن واحد إننى أفضل أن أومن بذلك الإله الذى خلق العالم المادي، وهو ليس بجزء من هذا الكون بل هو حاكمه ومدبره، بدلاً من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات)[1]

إنّ أبسط رد على نظرية داروين هو قانون السببية الذى عبَرَ عنه ذلك الأعرابى البسيط وبطريقته البسيطة حين سألوه عن الله تعالى فأجاب: البَعرَة تدُلّ على البعير، وخطّ السير على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على العلى الكبير!!!. ونعود إلى "أ. كريسى موريسون" مرة أخرى ليؤكد لنا حتمية التدين، أى كون الأشياء مخلوقة لخالق:

(إنّ كون الإنسان، ومنذ بدأ الخليقة إلى الآن، قد شعر بحافز يحفزه إلى أن يستنجد بمن هو أسمى منه وأقوى وأعظم، ليدل على أنّ الدين فطرى فيه، ويجب أن يقر العلم بذلك)[2]

وفى مقام الرّد على "هيكل" وادعاؤه القدرة على الخلق يستطرد "كريسى موريسون" راداً عليه ادعائه، وكان الرّد فى سياق البحث عن وحدات الوراثة "*Genes*" الموجودة فى نواة كل خلية لكل ذكر وأنثى، مستدلاً بذلك على وجود الله تعالى **حيث يقول:**

(تبلغ الجينات "وحدات الوراثة" من الّدقة أنها - وهى المسؤولة عن

(*1*) المصدر السابق، نقلا عن: *The Evidence of God. p. 71.*
(*2*) الإنسان لا يقوم وحده - الترجمة العربية - صفحة (290).

عن المخلوقات البشرية جميعاً التى على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية وأحوالها النفسية وألوانها وأجناسها - لو جُمعت كلها ووضعت فى مكان واحد، لكان حجمها أقل من حجم الكستبان، والكستبان الذى يسع الصفات الفردية لبليونين من البشر هو بلا ريب مكان صغير الحجم، ومع ذلك فإنّ هذه هى الحقيقة التى لا جدال فيها... فهى التى تحبس كل الصفات المتوارثة العادية لجمع من الأسلاف وتحتفظ بنفسية كل فرد منهم فى تلك المساحة الضئيلة)[1]

أما عالِم الطبيعة " أدموند و. سينوب " فيقول:

كيف نشأت الحياة؟ ذلك ما لا علم لنا به، ولا رأى لنا فيه... بطريقة ما تنتظم الالكترونات والبروتونات الدّوارة وجملة أخرى من الجزيئيات المادية، وتصبح ذرات الكربون أو الأوكسيجين أو الهيدروجين، وهذه الذرات تتجمع بدورها فتصبح دقائق كبيرة من البروتين، فإذا انضمت إليها عناصر معدنية مختلفة، وكمية صالحة من الماء انبنى فيها جبلة حية "بروتوبلاسمية" ثم بطريقة ما مجهولة لدينا تماماً تدلف هذه المادة الموات فجأة إلى الحياة...

إنّ الأحيائى مهما بلغ جهده، مقسور على أن يواجه مشكلات غيبية... على أنه يرفع يديه مستغيثاً بأنّ مثل هذه الآراء خارجة عن حدود العِلم، فلا يعينه من أمرها شىء. ولكننا ما لم نحدد العِلم تحديداً بالغ الضيق، فإنّه سيواجه عند تخومه الخارجيّة أشبهاّ فى هذه المشكلات... إزاء التساؤل المحرج عن طبيعة الحياة وصفتها سوف لا نلتزم معالجته عن طريق حدود العِلم وحده... قد نكون فى حاجة إلى وسائل لا يملكها العِلم فى الوَقت الحاضِر... إنّ الإنسان روحٌ أول شىء، ويتعذّر عليك أن تَصُبه فى قالب

---

(1) الإنسان لا يقوم وحده، الترجمة العربية، صفحة (137).

مادى صِرف، كما يتعذّر عليك أن تزن جمال سيمفونيّة فى كفتى ميزان، إن الرّوح[1] على ما يُعَرِفَه الدين، لا على ما يعرفه عِلم النّفس والطب النّفسانى هو أشد المطلوبات إلحاحاً على الإنسان فى هذا العَصر. وأقل ما يكن العِلم نفعاً لنا، سواء أكان عِلم الأحياء أم أى عِلم آخر فى هذه النّاحية)[2]

كان هذا اعتراف صريح أنّ العِلم لا يتمكن من معرفة شىء قطعى عن نشأة الحياة وخلقها، نعم إنّ الناحية الروحية فى الأشياء كونها مخلوقة لخالقٍ أوجدها من عدم، هى حقيقة لا تخضع للعِلم وتجارب مختبراته، إنما تُدرك باستعمال العقل عن طريق التفكر فى المخلوقات وقوانين الحياة.

وعالِم شهير آخر يدلى بِدلّوه فى الموضوع، هو العالِم الإنجليزى "روسل ولاس" وهو عَلَم من أعلام التاريخ الطبيعي، وتعتبر مؤلفاته كمراجع لجميع المشتغلين بعلمى النبات والحيوان:

(إنّ نشوء أى جسم على صورة مركبة مماثلة لفرد من نوعه، أمر لا يثير فى كثير من الناس أقلّ دهشة ولا استغراب، ومع هذا فإنه لا يزال باقياً بلا تعليل معقول، نعم: إنّ أهل العِلم قد كشفوا ظواهر كثيره تتعلق بالأنظمة الذى تتبعه الأحياء فى نموها، ولكنهم فيما يتعلق بطبيعة القوى العاملة فى هذا النمو، وبالعوامل التى تقودها وترشدها وتنظم حياتها، لم يعطونا غير ظنون مبهمة وافتراضات لا تغنى من الحقيقة شيئاً. لقد عرف منذ زمان مديد أنّ كل نمو سواء أكان حيوانياً أو نباتياً يكون بنشوء خليّة أولية وتكاثرها إلى حد ما، ولكن ما هى الخليـــة فى ذاتها؟ أهى غير مقدار قليل من المادة

---

(1) المقصود بالروح هنا معناها: إدراك الإنسان لصلته بخالقه، وليس المقصود المعنى الآخر لكلمة الروح، وهو سر الحياة.

(2) د. عزت نصر الله، الرد على صادق العظم، الصفحات (98 - 99)، نقلا عن: أدموند و. سينوب، حياة الروح فى ضوء العلم، الصفحات (138 - 145).

البروتوبلاسميّة التى اعتبرها أهل العلم المادة الأولية للحياة؟ على أنها من الناحية الكيمائية أكثر المواد المعرفة تركيباً، لأنها وإن كانت تتألف من العناصر الأربعة: الكربون، الهيدروجين، الأزوت، الأكسجين، فقد عُلم الآن أنّ ثمانى مواد أصليــة أخرى تدخل فى تركيبها هي: الكبريت، الفوسفور، الكلور، البوتاسيوم، الصوديوم، المغنيزيوم، الحديد. ويزيد على هذه المواد ست أخرى قد تصادف فيها، وإن كانت ليست من المقومات الأصلية للبروتوبلاسما، وهذه المواد هي: السيليكون، الفلور، البروم، اليود، الألومنيوم، المنجنيز. فالبروتوبلازما والحالة هذه مادة شديدة التركيب، لا بكثرة عدد المواد الدّاخلة فى تركيبها فَحَسْب، ولكن بشكل اتحاد هذه المواد كيميائياً. وهو الأمر الذى يستعصى على كلّ تحليل فني)[1]

إنّ على الإنسان أن يتفكّر فى الخلق معْمِلاً عقله فى استخلاص النتائج المتعلقة بالحياة والخَلق على ضوء هذا التّفكير، والمشاهدات التى يجدر به التفكير بها كثيرة لا تحصى، وتقع جميعها تحت إدراكه وإحساسه، وأولها هى الإنسان وتركيبه العضوي، وأبسط ما يكون تركيب الإنسان العضوى هى الخلية. والخلية هى أيضاً وِحْدَه أساسية فى تركيب أى مادة كانت، فالإنسان والحيوان وجميع الكائنات الحيّة - من أبسط أنواعها كوحيدة الخلية إلى أعقد أنواعها - تتكون من وحدات أساسية هى الخلايا.

إنّ الخلية هى تلك الوحدة المتناهية فى الصغر المحتوية على مقومات الحياة، وهى الذخيرة أو الأصل التى تعود إليه كلّ صور الحياة، وهى المادة الحيّة الأولى التى تسمى "الجِبِلة أو البروتوبلازم". وهى كما يقول داروين المادة الحيّة الأولى، وتؤدى كلّ خلية وظائفها الحيويّة العديدة بدرجة من الدّقة

---

(1) الدكتور محمد عزت نصر الله، الرد على صادق العظم، الصفحات (126 - 127)، نقلاً عن: روسل ولاس، عالَم الحياة، الصفحات (398) وما بعدها.

المتناهية التى عجز الإنسان العاقل الحالى أن يجارى تلك الدقّة فى أدق مصنوعاته الآلية.

لقد قام "روسل ولاس" آنفاً بإعطائنا نبذة سريعة عن دقة تكوُن وتركيب وعمل الخليّة، إلا أنّ ما قام به المذكور لم يكن رأياً خاصّاً به، بل حقيقة علميّة أكدها كلّ من اشتغل بالعِلم واعتمد نتائجه، وقد اعتمد العلماء تعريفاً للخلية أو البروتوبلازم هو كما يقول "د. وليم سيفرتبنر":

(إنّ المادة الحية المعروفة باسم البروتوبلازم هى خليط معقد جداً من الماء والأملاح والسكريات والدهون والبروتينات. وفى هذه المادة الحيّة غير المتجانسة تحدث تلك العمليات التى تؤلف فى مجموعها الحياة)[1]

وتصحيحاً لا بدّ منه لذلك التعريف، فإنّ تلك العمليات لا تؤلف الحياة أبداً، إنما هى علامة من علامات الحياة، فالحياة مظهر من المظاهر وسر من الأسرار، لا ولن يعلمه أحد إلا الله تعالى، وَقَفَ أمامه العِلم حائراً عاجزاً، وقد فشل كلّ من حاول سابقاً، ووقف أمامها حائرا عاجزاً، وسيفشل كلّ من سيحاول لاحقاً فى التّعَرُف على كنه الرّوح التى هى سر الحياة.{**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**}[2].

إنّ كلّ فرد منَ المخلوقات بلا استثناء من نبات أو حيوان يتألف كما يقول العِلم من البروتوبلازم بلا استثناء، والبروتوبلازم هو متشابه تقريباً فى كليهما، إلا أنّ هذا التّشابه هو تشابه نسبي، أى أنّ البروتوبلازم الحيوانى يتشابه مع البرتوبلازم النباتى ولا يتماثل معه، وكذلك فإنّه يوجد

---

(1) منقول عن: جيمس ستوكلي، العلم يزحف، ترجمة د. محمد الشحات.
(2) سورة الإسراء (85).

اختلاف وفروقات بين بروتوبلازم أى كائن وبين بروتوبلازم أى كائن آخر، وتلك الاختلافات والفروقات هى فروقات أساسية وحيوية، وإلا لما كانت بيضة الضفدعة التى أنتجت ضفدعة، ولما نمت بذرة البلوط فأصبحت شجرة بلوط، وبذرة القمح قمحاً، وبذرة الشّعير شعيراً..... وهذه الفروقات كبيرة جدّاً وحيويّة جداً، إلا أنّ العِلم ومختبراته وأجهزته المتعددة الدّقيقة وعقول جهابذته لم تستطع الوصول إلى أسرارها، ومن أبرز الحقائق فى عِلم الحَياة أنّ كلّ أنواع البروتوبلازم مع الفروق بينها وخفاء مصادرها، تبدو متشابهة إلى حد كبير وتشبه بياض البيضة وفيه نقط دقيقة ومنتشرة. (1) ويقول الأستاذ فى جامعة فرانكفورت، وعضو الأكاديمية فى أنديانا، الدكتور "رسل تشارلز أرتست":

(إننى أعتقد أنّ كلّ خلية من الخلايا الحيّة قد بلغت من التعقيد درجة يصعب علينا فهمها وأنّ ملايين الملايين من الخلايا الحيّة الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق، ولذلك فإنى أومن بوجود الله إيمانا راسِخاً)(2)

نترك الخلية لنبحث مع " سبنسر " فى قطرة الماء:

(إنّ العالِم الذرى الذى يرى قطرة الماء، فيعلم أنها تتركب من الأوكسجين والهيدروجين بنسبة خاصّة، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئاً آخر غير الماء، ليعتقد عظمة الخالق وقدرته، وحكمته وعلمه الواسع، بأشدّ وأعظم وأقوى من غير العالِم الطبيعى الذى لا يرى فيها إلا أنها نقطة ماء، نقطة ماء فَحَسْب!! وكذلك العالِم الذى يرى قطعة البَرَد وما فيها من جمال الهندسة ودقّة التقسيم، لا شكّ أنه يشعر بجمال الخالق ودقيق حكمته،

---

(1) منقول بتصرف عن: جيمس ستوكلي، العلم يزحف، ترجمة محمد الشحات

(2) جون كلوفر مونسما، الله يتجلى فى عصر العلم، صفحة (77). من مقال رسل تشارلز آرتست، بعنوان " الخلايا الحية تؤدى رسالتها".

أكبر من ذلك الذى لا يعلم إلا أنها مَطَرٌ تَجَمَدَ من شِدّة البَرْد.)[1]

إنّ دعاة التّطور من أصحاب الفكر المادي، قالوا: بأنّ خصائص المادة مع عوامل الصدفة هى التى أوجدت الحياة مع أشكالها المختلفة من نبات وحيوان وإنسان، فقام علماء وقالوا بنظريّة النشوء والارتقاء. وكان أبرز هؤلاء هو تشارلس داروين الذى وَجَدَ كارل ماركس وأتباعه فى نظرية داروين دعماً لفكرهم المادي. **وهنا نطرح السؤال التالي**: هل خصائص المادة وعوامل الصدفة فيها القدرة على إيجاد هذا الإنسان؟ إنّ الأمر يحتاج إلى الجدية والمسؤوليّة فى الاهتمام، ويحتاج إلى الفكر العميق المستنير فى البحث. إنّ هذا مفترق طرق فى التفكير الإنساني.

(**لن نبحث الآن فى خصائص المادة**: من أودعها فيها ومن فرضها عليها، وذلك مسايرة لفرضيّة أزلية المادة وملحقاتها، بل سنبحث فى: هل يمكن لهذه الخصائص التى افترضوا أزليتها، هل يمكن لها مع عوامل الصدفة أن تصنع الإنسان؟

أولاً دعونا نلق نظرة على بعض هذه الخصائص، لنتعرّف إلى حدود طبيعتها وسلوكها، لنأخذ مثلاً ذرة الأوكسجين فإنها تحتوى على ستة إلكترونات فى طبقتها الخارجية فتحتاج إلى إليكترون كى تصبح هذه الطبقة مشبعة، والهيدروجين يوجد فى ذرته إلكترون واحد قابل للتفاعل، فتتحد الذرة الواحدة من الأوكسجين مع ذرتين من الهيدروجين لتشكل الماء "$H2O$". أما ذرة النيتروجين فيوجد فى طبقتها الخارجية خمسة إلكترونات، فتحتاج إلى ثلاثة كى تصبح مشعة، وهكذا حين يتفاعل النيتروجين مع الهيدروجين فإنّ كلّ ذرة نيتروجين تتحد مع ثلاث ذرات من الهيدروجين لتشكل الأمونيا أو روح النشادر "$H3N$".

(*1*) يوسف القرضاوي، العبادة فى الإسلام، صفحة (17).

وهكذا فإنّ سلوك المادة، سواء كانت فى شكل عنصر أو مركب أو مزيج، يكون تابعاً لخصائصها، ولا يمكن للمادة أن تتصرّف عكس خصائصها أو خارج نطاق هذه الخصائص، وهذه حقيقة علمية يقع عليها الحسّ مباشرة، وهى حقيقة علمية أثبتتها تجارب الاختبار.

أما ما يسموه الصدفة فهو عبارة عن الالتقاء العشوائى بين مادتين فأكثر ولكلّ واحدة خصائصها فيؤثر بعضها فى البعض الآخر، وتحصل نتائج أو مواد جديدة، فالنتائج التى تحصل من الصّدفة هى وليدة خصائص المادة، ولا يمكن أن تكون عكسها أو خارج نطاقها، كلّ ما فى الأمر أنها سميت صدفَة لأنّ الالتقاء بين المادتين لم يحصل بناء على ترتيب سابق مقصود بل كان عشوائياً، وسواء كان الالتقاء بين مختلف المواد عشوائياً أو مرتباً عن قصد فإنّ هذه المواد لا تتصرّف إلا طبق طبائعها وخصائصها... فهل يوجد بين خصائص المادة أن توجد إنساناً كما أوجدت ماءاً أو أمونيا؟

إنّ التدقيق فى هذا وإنعام النّظر فيه يظهر بشكل بسيط وقطعى أنّ المادة ليس من خصائصها ولا من طبيعتها أن تصنعَ الإنسان. إنّ فى كلّ جهاز من أجهزة جسم الإنسان من الدقة والحكمة والإبداع ما ينطق بلسان فصيح بأنّ هناك مبدعاً حكيماً قادراً هو الذى صنع هذا الإنسان من المادة.)[1]

إنّ الاستنباط والتعليل والتأويل هما الأساس الذى قامت عليه عند علماء ودعاة التطور نظرية "التّطور العلمي" وهو ما أشار إليهم "ماندير" باسم "الحقائق المستنبطة"[2] وبناء على هذا الأساس يجذم "ماندير" صِدْقَ وصحة النّظرية قائلاً:

(لَقَد ثبَتَ صِدْق النظرية، حتى أننا نستطيع أن نعتبرها أقرب شيء إلى

---

(1) منقول عن: مجلة الوعي، العدد (51)، تموز 1991 م.
(2) يرجع إلى صفحة 174 من هذا الفصل.

الحقيقة)[1] ويوافقه "سمبسون" فى هذا الصدد قائلاً: (إنّ نظرية النشوء والارتقاء حقيقة ثابتة أخيراً وكلياً، وليست بقياس بديل صيغ للبحث العلمي.)[2]

ويعتقد محرر "دائرة المعارف البريطانية *1958*" أنّ نظرية الارتقاء فى الحيوانات حقيقية، وإنّ هذه النظرية قد حظيت بموافقة عامة بين العلماء والمثقفين بعد داروين. لذا فليس هناك مجال للشك والارتياب فى صدقها وحقيقتها، أو الإتيان بما يناقضها، لأنها ثابتة ولا مجال للطعن فيها أو التدليل على عكسها بتاتاً. [3]

أما " سير تشارلس لايل *Lil. S. R.* " فيقول:

(ظلّت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد يوماً بعد يوم بعد داروين، حتى أنه لم يبق شك لدى المفكرين والعلماء فى أنّ هذه هى الوسيلة المنطقية الوحيدة التى تستطيع أن تفسّر الخلق وتشرحه)[4]

إنّ تأكيدهم هذا يستوجب التساؤل: هل هذه النظرية التى أجمع العلماء على صحتها - إن صدق القائل - هل كان ذلك نتيجة شواهد قاطعة، وهل توصلوا إليها علمياً بإجراء التجارب عليها فى المختبرات؟ والجواب على ذلك بكلّ بساطة وتأكيد: لا. لأنّ ذلك ضرب من المستحيل، إنّ مزعومة الارتقاء معقّده، وهى تتعلق بماضٍ موغل فى القِدَم، حتى أنه لا يمكن ملاحظتها أو إجراء الاختبارات عليها، وهى كما أكد "لايل" فى كلمته الآنفة الذكر وسيلة منطقيّة تعتمد على الفرضيات المسبقة والتكهنات الخيالية، لتفسير مظاهر الخلق، فهى تبريرات لمزعومات وفروضات

(*1*) وحيد الدين حان، الإسلام يتحدى، صفحة (49). نقلا عن: Ibid, p. 113....
(*2*) المصدر السابق، نقلاً عن: *Meaning of Evolution, p. 127*
(*3*) المصدر السابق، نقلاً عن: "دائرة المعارف البريطانية - 1958 "
(*4*) الإسلام يتحدى، صفحة (49)، نقلاً عن: *Revolt against Reason. p. 112.*

مسبقة، وليسَت إعمالاً للعقل فى الموجودات والظواهر الموجودة فعلاً، إنّها قياس للحاضر الموجود على الغائب المفقود الذى لا أثر لـه.

كـان هـذا هـو السّـبب الـذى دفـع المحـامى المـتحمّس لنظريـة الارتقـاء والتطـور العضـوى "سـير آرثـر كيـث" أن يُسَـلِمَ بـأنّ هـذه النظريـة ليسـت بملاحظـة أو تجربـة، وإنّمـا هـى مجـرد اعتقـاد!!! حيـث يقـول: (إنّ نظريـة الارتقاء عقيدة أساسية فى المذهب العقلي)[1]

وربما يكون تعريف أحد المعاجم العلميـة للنظريـة أبلـغ رد حين يُعَرِف نظرية داروين بأنها: (نظرية قائمة على تفسير بلا برهان)[2]

ويفسر لنـا العـالِم البريطـانى الشـهير أن إيمانـه بتلك النظريـة لـم يكن إلا تعصباً ومكابرة حين يقول فى كتابه الشهير "عالَم الأسرار": (إنّ فى عقولنا الجديـدة تعصـباً يـرجح التفسـير المـادى للحقـائق)[3] أمّـا عقيـدة "سـير آرثـر كيـث" المثبتـة سـابقاً، فيفسر لنـا كيفيتهـا وأسـبابها قـائلاً: (إنّ نظريـة النشـوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلـى إثباتهـا بالبرهـان، ونحـن لا نـؤمن بهـا إلا لأنّ الخَيـار الوحيـد بعـد ذلـك هـو: الإيمـان بـالخلق الخـاص المباشـر، وهـذا مـا لا يمكـن حتـى التفكيـر فيـه)!!! [4] وحتـى أنّ كثيـراً مـن العلمـاء قـد أكدوا أنّ "فكرة التطور العضويOrganic Evolution" والذى استنبطت منه فكرة الارتقاء، سوف يبقـى بـلا بـراهين وبـلا أدلـة علميـة!!! **لـــذا**: (إنهـم لا يؤمنـون بهـذه النظريـة، إلا لأنـه لا يوجـد أى بـديل لهـا سـوى الإيمـان بـالله مباشرة)[5]

---

(1) المصدر السابق، نقلاً عن: *Revolt against Reason, p. 112.*
(2) المصدر السابق، صفحة (50)، نقلاً عن: *Ibid, p. 111.*
(3) المصدر السابق، صفحة (42)، نقلاً عن: *Mysterious Umiverse, p. 189.*
(4) المصدر السابق، صفحة (43)، نقلاً عن: *Islamic Thought, Dec. 1961.*
(5) المصدر السابق.

كان هذا غيض من فيض، يؤكد لنا أنّ العلماء ودعاة نظريات التطور المادى أنفسهم ينادون بتلك النظريات مع عدم القناعة بصحتها، وأنهم قد اختلقوها لغاية فى أنفسهم، ولتحقيق مكاسب وأهداف منظمات سرية، تدفعها أيد خفية، لاستغلالها فى محيط السياسة لاستعباد واستغلال ونهب موارد الشعوب كما مرّ سابقاً. (1) أمّا إدعاؤهم موافقة العلماء والمثقفين عليها وتصديقهم لمحتوياتها، فقول يفتقر للصحة، إذ أنّ مشاهير المثقفين والعلماء قد دعوا إلى نبذ تلك النظرية، وبالتالى الإيمان بأنّ وراء هذا الكون والإنسان والحياة خالقاً أوجدها من العدم، ودعوا باسم العِلم المجرد إلى التّمَسك بهذا الإيمان ونبذ جميع أفكار ومقولات التطور المادي، ونبهوا إلى خطأ وخطورة التمسك بها.

وفى الفصل التالي(2) سنقوم بمشيئة الله تعالى، باستعراض أمثلة من أقوال بعض من مشاهير العلماء، مع ملاحظة أنّ ما سنقدمه من أقوال العلماء تلك، ليس بالضرورة إيمانا منا بما يقولون، وليس لعجزنا عن نقض تلك النظرية إلا بأقوالهم، إنّما هى للتدليل على كذب من يقول بإجماع العلماء كافة على النظرية من ناحية، وللهمس بأذن كلّ من يستهويهم الأخذ بفارغ القول من الغرب الكافر تقليداً ومحاكاةً وانبهاراً، أنّ ما يأخذونه عن الغرب الصليبى الكافر - والشرق الوثنى الملحد - من نظريات مادية، قد نبذها من استعمل عقله منهم، وتوخى البحث عن الصدق والحقيقة بتجرد، ونقضها وكفر بها حتى بعض من آمن بها سابقاً، وكان من غلاة دعاتها، حين وضحَ لهم عقم وتفاهة تلك النظرية وشبيهاتها، معترفين بعجزهم أمام قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

---

(1) الباب الثانى - الفصل الثالث من هذا الكتاب، الصفحات (166 - 170).
(2) الفصل الرابع - الباب الثاني، الصفحات 189 وما بعدها، " آراء العلماء فى التطور والخلق ".

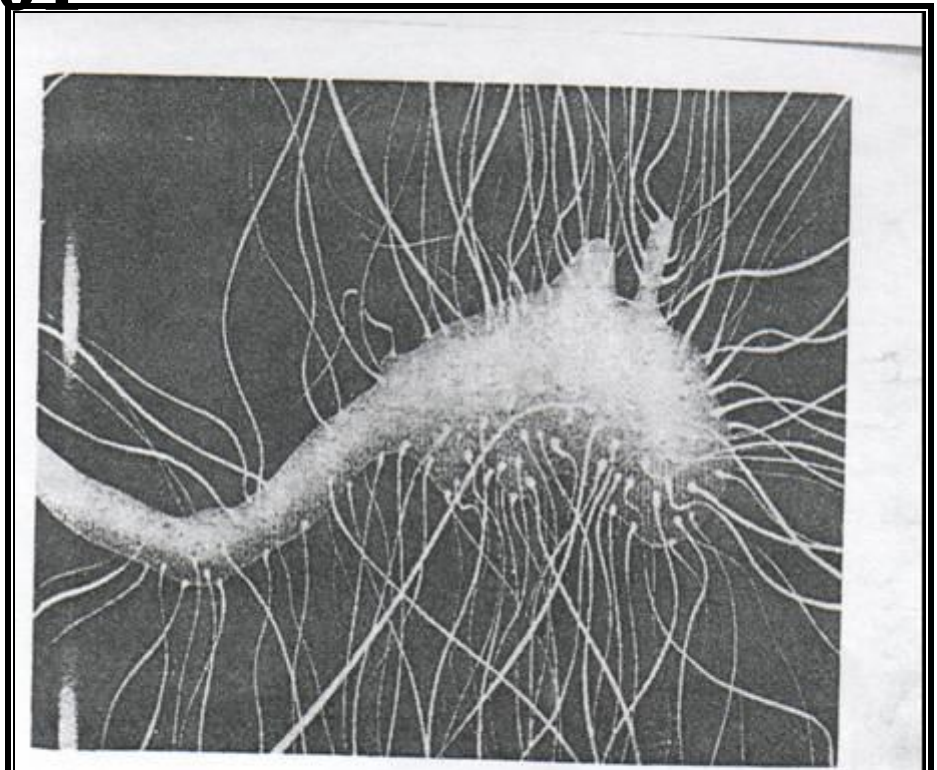

في دماغ الانسان ما لا يقل عن عشرة مليارات من هذه الخلية المكبرة عشرين ألف مرة عن ح
الطبيعي.

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)[1] .

(*1*) فصلت: (35).